حضور المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية بين الاحتقار والتمجيد (دراسة ثقافية)

The presence of women in Algerian proverbs between contempt and glorification (a cultural study)

الدكتورة/ سنافي إلهام

قسم اللغة والأدب العربي - جامعة 20 أوت 1955- سكيكدة (الجزائر)
i.senani@univ-skikda.dz

تاريخ الإيداع: 2025/10/03 تاريخ القبول: 2026/08/31 تاريخ النشر: 2026/09/15

ملخص:

تعد الأمثال الشعبية من أبرز أشكال الموروث اللامادي لارتباطها بالواقع المعيشي وقدرتها على التعبير عن التجارب الإنسانية وانتقالها بسهولة بين الأفراد، وتشير الأمثال الجزائرية إلى حضور المرأة بمختلف أعمارها ومكانتها الاجتماعية، لذا تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية من جوانبها الإيجابية والسلبية.

وبعد العرض والتحليل تكشف دراسة الأمثال الشعبية الجزائرية المتعلقة بالمرأة التناقض البنيوي في الخطاب الثقافي الشعبي، حيث تتقاطع الصور الإيجابية مع السلبية في نسق يعكس الأيديولوجيا الذكورية والهيمنة الرمزية للذكور، فرغم تمجيد بعض الأمثال للأمومة والنشاط والفضائل الأخلاقية للمرأة، فإن هذه الإشادات غالبا ما تقرن بإعادة إنتاج التبعية والقيود الجندرية التقليدية، ما يجعل قيمة المرأة مرتبطة بخدمة الآخرين ورضا الرجل.

الكلمات المفتاحية: المرأة؛ الأمثال الشعبية؛ الجزائرية؛ الاحتقار؛ التمجيد؛ الثقافة الشعبية.

Abstract:

Proverbs are among the most prominent forms of intangible cultural heritage, due to their connection with everyday life, their ability to express human experiences, and their ease of transmission among individuals. Algerian proverbs notably reflect the presence of women across different

ages and social positions; therefore, this study aims to examine the representation of women in Algerian proverbs, highlighting both their positive and negative aspects.

Upon presentation and analysis, the study of Algerian proverbs related to women uncovers the structural contradictions within popular cultural discourse, where positive and negative images intersect in a pattern reflecting male ideology and symbolic male dominance. Although some proverbs praise motherhood, activity, and the moral virtues of women, such commendations are often linked to the reproduction of dependence and traditional gender constraints, rendering a woman's value contingent upon serving others and satisfying men.

***key words**:* Woman; Popular proverbs; Algerian; Glorification; Denigration; Popular culture.

1- مقدمة:

يعد المثل الشعبي خلاصة الثقافة الشعبية للأمم، إذ يعكس عادات الأفراد وتقاليدهم وطقوسهم، ويمثل صوت الشعب الذي يدل على أحواله، كما يعد وسيلة للتعبير تكشف عن طرائق تفكيره، وتشير إلى ثقافته وميوله واهتماماته.

وقد أولى الدارسون اهتماما كبيرا بدراسة المثل باعتباره نموذجا معبرا يستشهد به، حيث قاموا بتحليله والكشف عن دلالاته بغية سبر أغوار المجتمع وبيان خلاصة تجارب الأسلاف، ومن ثم المساهمة في الحفاظ على الإرث الثقافي والمخزون الشعبي.

يختصر المثل المعنى في عبارات موجزة وموحية، إذ يعتمد قائله على التلميح لا التصريح، تاركا للمتلقي مهمة التقاط المعنى المقصود، فمرسله يتكئ على الدلالات الضمنية الكامنة خلف الملفوظ ليضمن التأثير والإقناع، والمثل الجزائري، شأنه شأن الأمثال في مختلف الثقافات، يجسد مجموعة المعارف المشتركة بين أفراد جماعة بشرية ولغوية، ويكشف في الوقت نفسه عن خصائص الثقافة الشعبية الجزائرية.

لقد منحت الأمثال الشعبية الجزائرية المرأة مجالا واسعا لإبراز قيمتها ومكانتها ضمن المجتمع الإنساني، إذ حملت في مضامينها أنساقا ثقافية ودينية واجتماعية متعددة، وهي تعكس من جهة صورا تعلي من شأن المرأة، ومن جهة أخرى، صورا تكرس تهميشها وانتقاص مكانتها.

ويتضح من خلال الأمثال الشعبية الجزائرية أن المرأة – ابنة وزوجة وأما – قد حظيت بحضور وافر بين ثنائية الاحتقار والتمجيد، ومن هنا تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية:

كيف تعكس الأمثال الشعبية الجزائرية صورة المرأة بين التمجيد والاحتقار، وما الدلالات الثقافية والاجتماعية وراء هذا التناقض في تمثيل الأدوار النسائية؟

2- مفهوم المثل في اللغة والاصطلاح:

2-1- لغة:

إن مادة "مثل" تتوزع في معاجم اللغة بين مفاهيم يجمع بينها المحسوس والمجرد، مثل: التسوية، المماثلة، النسبة، النظير، الصفة، الخبر، الند، العبرة، الآية، المقدار، الحجة، القالب، والتصوير، والوصف، والإبانة"[1].

ويعرفه ابن منظور في قاموس لسان العرب" :المثل كلمة تسوية، يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال شِبه وشَبَهْ، بمعنى: الفرق بين المماثلة والمساواة، أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين، لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار، لا يزيد ولا ينقص، وأما المماثلة فلا تكون إلا في المتفقين... والمثل الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعله مثل" [2].

كما ورد من معاني المثل في المعجم نفسه أيضا بمعنى المدح والثناء، ومنه قالوا: مَثُلَ الرجل يَمْثُلُ مَثَالَةً إذا فَضُلَ وَحَسُنَ حاله، فالمثالة حسن الحال، والمَثِيلُ: الرجل الفاضل، والأَمْثَلُ، الأفضل، وهو أَمْثَلُ قومه أي أفضلهم، وفلان أمثل بني فلان، أدناهم إلى الخير، وهؤلاء أماثل القوم أي خيارهم [3].

وجاء في تعريف لغوي آخر أن أصل المثل يقوم على التماثل بين شيئين في الكلام، كما في قولهم: "كما تدين تدان"، وهو من قولك: "هذا مثل الشيء ومثله"، كما تقول: "شِبهه وشَبَهه"،ثم توسع المعنى ليشمل كل حكمة سائرة مثالا، فقد يأتي القائل بما يحسن أن يتمثل به، إلا أنه لا يمكن لكل ما يسير أن يعد مثلا[4]، ويأتي هذا المعنى أيضا في قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾ [سورة البقرة، الآية 26]، تشير هذه الآية إلى استخدام المثل كوسيلة بيان وشرح للحقائق، حيث

يقدم المثال صورة محسوسة تساعد على إدراك المعنى المجرد، فتتجلى وظيفة المثل كأداة للتوضيح والتعليم.

كما أن "المثل" قد يتخذ بعدا قيميا، إذ يشير إلى الأمثل والأفضل، أي الشخص أو السلوك الذي يحتذى به ويعد نموذجا للفضيلة والصواب، مما يعكس جانبا أخلاقيا وحكميا في استعمال اللغة العربية [5].

تدل هذه التعاريف على أن "المثل" في اللغة العربية مفهوم متعدد المستويات: لغوي، تداولي، أخلاقي، وبلاغي، يجمع بين المجرد والمحسوس، ويستخدم للتسوية والمماثلة، كما يحمل بعدا قيميا وأخلاقيا من خلال إشادة الفضيلة والحكمة.

أما التمثال فهو الصورة المصورة، وجمعه تماثيل، كما يقال في الثياب: "تماثيل" أي صور حيوانات [...]، ويقال أيضا: "مَثَّل له الشيء" أي صوره حتى كأنه يرى، و"أمتثله" أي تصوره، و"مثلت له كذا تمثيلاً" أي صورت له مثالة بكتابة أو غيرها[6]، ومن ذلك يتضح أن أصل كلمة "مثل" مشتق من دلالة حسية تتعلق بالشخصيات والأشكال المنحوتة والصور والرسوم وغيرها، ما يعكس الطابع التصويري والتمثيلي للمفهوم..

2-2- مفهوم المثل الشعبي اصطلاحا:

أما في الاصطلاح فقد عرفه الفارابي بقوله: "المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه حتى ابتذلوه [ذاع وشاع بينهم] فيما بينهم، وفاؤوا به في السراء والضراء، واستدروا به الممتنع من الدرّ (جواهر الكلام)، ووصلوا إلى المطالب القصية، وتفرجوا عن الكرب والمكربة، وهو أبلغ من الحكمة لأن الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصر في الجودة، أو غير مبالغ في بلوغ المدى في النفاسة "[7].

نخلص من هذا القول إلى أن المثل قول موجز العبارة، بليغ القصد، صدر عن العامة وارتضته في حياتها، وقد جاء معبرا عن تصرفاتهم تجاه مواقف اعترضتهم، فينشأ في البداية عن قصة أصلية أو حادثة تدعى(مورد المثل)، ويضرب بعد ذلك في موقف معين أو حادثة مشابهة أو مقاربة بوجه ما للحادثة الأصلية والتي تسمى بدورها (مضرب المثل).

يعرف المثل الشعبي بأنه أحد أبرز الأنماط الأدبية في التراث الشعبي، وربما يكون الأهم بينها جميعا، إذ يمثل مرآة حية للأفكار والقيم التي قد تغيب عن الوعي المباشر لكنها لا تزال متجذرة في

الممارسات اليومية للحياة الاجتماعية. ومن خلال الأمثال، يمكن للباحث أن يدرك تصورات الشعب وآرائه ومعتقداته، فضلا عن مستوى تطوره أو تأخره الثقافي والاجتماعي، والمثل الشعبي عبارة عن قول موجز يلتقط أحداثا ومواقف حياتية واجتماعية، ويختزل المعاني في جملة أو جمل تعتمد على الإشارة والتلميح بدل التصريح المباشر، ليكون بذلك وسيلة بلاغية للتعبير عن تجارب المجتمع.

كما يعرف المثل الشعبي أيضا على أنه " لون من ألوان الأدب الشعبي تدل على طبيعة حياة الأمة وصور مجتمعها وترسم عاداتها وتسرد أخبارها، وتحفظ آثارها، وتقدم الدليل للباحث على مستوى تذكيرها أو مدى ثقافتها ومبلغ حضارتها، فالأمثال مرآة للأخلاق العامة، والأخلاق العامة مرآة لمستوى حياة أمة من الأمم في مجالات الحضارة " [8].

للمثل، رغم قصره، مرجعية اجتماعية وتاريخية تمتد إلى نصوص ومواقف قديمة، كما ترتبط بالمواقف الراهنة، مما يعكس استمراريته ودوره في التعبير عن تجارب المجتمع.

كما أن للمثل قيمة كموضوع للبحث في المجال الاجتماعي، انطلاقا من أن الأمثال الشعبية عنصر حيوي من عناصر الموروث اللامادي تعكس طبيعة ونمط جماعات أثنية ولغوية معينة في ظروف تاريخية وجغرافية محددة، وكذلك كون المثل يحتل حجمًا معتبرا من الذاكرة الشعبية على اعتبار أنه من الأشكال التعبيرية الأكثر شيوعا وانتشارا بين الناس، حيث لا تخلو ثقافة منه[9]. كما تساهم في تشكيل أنماط واتجاهات وقيم المجتمع، مما جعل ضرورة البحث الاجتماعي في المثل ذو أهمية دائمة للتعرف على الأوساط الاجتماعية المختلفة ونمط تفكيرها وتوجهاتها، ومنابع ثقافتها ومخزونها الثقافي والخصوصية فيه، وكذلك دراسة عمليات التأثير والتأثر التي تمت، لأن المعرفة في نهاية المطاف، هي ثمرة جهد المجتمع الإنساني المشترك في إنتاجها.

هذا النوع من الكشف والدراسة كفيل بإبراز كيف أخذت الثقافات عن بعضها البعض، وعمليات التأثير والتأثر التي حدثت وشكلت الجماعات البشرية المختلفة وما يميز تركيباتها وأوساطها الشعبية، والاهتمام بالأمثال الشعبية له علاقة مباشرة بالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وغيرها، والمثل الشعبي وإن وُجد بتقليد شفهي، إلا أنه يعكس بجلاء طبيعة أي مجتمع ونمط تفكيره وإمكانية التوجيه والتغيير فيه، لأن من شأن هذا التقليد الشفوي أن يمتلك عموماً سلطة سياسية خارقة ودوراً استراتيجيا [10]، وبواسطته نستطيع فهم دينامية مجتمعنا والمجتمعات المحيطة، وهذا ما تسعى العلوم المختلفة المرتبطة بالمجتمع والثقافة الشعبية لإبرازه.

3- خصائص المثل الشعبي:

يمتاز المثل الشعبي مثل غيره من فنون الأدب الشعبي، بمجموعة من الخصائص التي تميزه عن غيره، ومن أبرز هذه الخصائص:

- اللغة المستعملة، إذ يعتمد المثل على لغة الحياة اليومية، أي اللغة العامية السائدة بين الناس بمختلف أطيافهم، ويعود ذلك إلى الطابع الشعبي للأمثال، كما أن استخدام هذه اللغة يسهم في سهولة تداولها ونقلها بين الأجيال، فهي لغة البيت والشارع والمجتمع، ولا تخضع للقواعد أو الضوابط اللغوية الرسمية، مما يعزز طابعها الواقعي ويقربها من حياة الناس اليومية.

- يعد المثل الشعبي من الأدب الشعبي المجهول المؤلف، وذلك نظرا للطابع الجماعي الذي يميز هذا النوع من الأدب، فالمثل في أصله نتاج فكر عامة الناس، ما يجعله متداولا في المجتمع دون معرفة محددة بصاحبه الأصلي، وحتى في حال نسبه لشخص ما، فإن هذه النسبة تبقى محل شك"، يجتمع المثل في أربع لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه وجودة الكناية فهو نهاية البلاغة"[11].

- المثل الشعبي صادق في تعبيره، فهو ينقل حالة الفرد والجماعة بصدق و دون خوف من سلطة أي مسؤول.

- تداول المثل حيث يتم نقله شفويا بين أفراد المجتمع لكونها ميزة أساسية لتناقله.
- يحمل المثل الشعبي في طياته وظائف مختلفة، أهمها الوظيفة التربوية التعليمية، حيث يقوم بتقديم الفكرة ويترك المجال مفتوحا للغير، سواء بقبول النصيحة أو برفضها.
- تتميز الأمثال بالإيقاع، فمن العوامل الأساسية التي جعلت معظم الأمثال القديمة الموجزة تتماسك وتصمد أمام الزمن، توفرها على مصادر إيقاعية تتجسد في الاعتدال والتناسب بين الأجزاء في التقديم والتأخير والتراكيب البلاغية والسجع والجناس، فالإيقاع إذا وجد في المثل عمل على إظهاره أكثر"، وانطلاقا من كل هذا هناك تعريف قدمه فريديريك زايلر في مقدمة كتابه (علم الأمثال الألمانية) يشمل خصائص المثل الشعبي يقول بأنه:"القول الجاري على لسان الشعب، الذي يتميز بطابع تعليمي وشكل أدبي مكتمل يسمو على أشكال التعبير المعروفة "[12].
ومنه يمكن استخلاص خصائص المثل ومميزاته فيما يلي:

- **الإيجاز في اللفظ**: فالمثل يمتاز بالإيجاز وحسن اللفظ حيث يدل قليل الكلام فيه على الكثير من المعنى.

- **الكناية والتعريض:** ذلك أن المثل يلجأ إلى الكناية للتعبير عن قيمة معينة، أي ينفي المعنى الحقيقي ويكتفي بالإشارة له.
- **إصابة المعنى:** فالمثل يصيب التجربة والفكرة في الصميم، فهو يتفق مع الواقع لأنه من الواقع في حد ذاته.
- **حسن التشبيه:**أي مبني على المماثلة والتشبه، "السعيد من اتعظ بغيره "[13].
- **الإيقاع الغني:** فهو يتوفر على مصادر إيقاعية وتراكيب بلاغية، مثل السجع والجناس، وهذا ما يميزه عن الكلام العادي.
- **الو اقعية:** يعكس صورة الشعب وواقعيته وحياته اليومية.

4- مواطن احتقار المرأة وتمجيدها في الأمثال الشعبية الجز ائرية:

عندما نتحدث عن المرأة ودورها في الأمثال الشعبية فإننا نتحدث عن موروث شعبي حاضر بقوة في ثقافتنا الشعبية، باعتبارها نواة الإبداع الشعبي، وتعكس تطلعات وأحلام وآلام الإنسان العربي بصفة عامة، فهي حاضرة كذلك باعتبارها خزان لذاكرة الماضي، وكل ما يتعلق بحياة المجتمع، ولا عجب أن تكون المرأة مدار جدل في الثقافة الشعبية، وأن تتأرجح بين ثنائية القبول والرفض فقد ارتبطت صورتها بالمكر والكيد وجلب العار ... وهذه الأوصاف جعلت الجانب الإيجابي يغيب ويطغى عليه الجانب السلبي سواء تعلق الأمر بالمثل أو بغيره.

4-1- تمثلات المرأة في الأمثال الشعبية الجز ائرية وتجليات النسق الذكوري:

تعكس الأمثال الشعبية الجزائرية نسقا ثقافيا ذكوريا أسهم في بناء صورة سلبية للمرأة داخل المخيال الشعبي، من خلال ترسيخ تصورات تقلل من مكانتها وتعيد إنتاج الهيمنة الرمزية عليها، ومن منظور النقد الثقافي تمثل هذه الأمثال خطابا ثقافيا يعبر عن القيم السائدة، ويتجلى ذلك في تصوير المرأة بوصفها موضوعا للرفض والإقصاء، وإخضاعها لعلاقات التبعية، ونزع الأهلية عنها، فضلا عن استمرار بعض الأنساق التي جاء الخطاب القرآني لتفكيكها.

4-1-1- المرأة بين الرفض والإقصاء:

لقد انتشرت الأمثال الشعبية الجزائرية التي تصور المرأة بصورة سلبية، سواء فيما يتعلق بصفاتها الشخصية، أو بسلوكياتها، أو بدورها في الأوضاع الاجتماعية المختلفة، وإذا استعرضنا هذه الأمثال، سنواجه حقيقة واضحة، وهي أن تصوير المرأة غالبا ما يكتنفه الطابع السلبي والقاتم، وربما تعود هذه الصورة إلى الترسبات الثقافية التي رسخت في لاشعور الجماعة، فقد عرفت المرأة في كثير من الثقافات، سواء القريبة منا أو البعيدة، بأوصاف سلبية مثل: الشيطان،

الأفعى، الداهية، أو المصيبة، وربطت بالكيد والغدر والخيانة، مما جعل المجتمع يتوخى الحذر منها، ومن بين الأمثال الشعبية الجزائرية التي تقلل من قيمة المرأة ومكانتها في المجتمع، نجد مثل **"هم البنات للممات"**، الذي يعكس نظرة المجتمع إلى البنت باعتبارها هما وغما ثقيلا على العائلة، حتى أن وفاتها راحة ودليل ذلك المثل القائل لي**"ماتت بنتو من صفاوة نيتو"** .

4-1- 2- المرأة بين التبعية والتهميش:

تعد الأمثال الشعبية الجزائرية التي قيلت في المرأة من أبرز أشكال الخطاب الثقافي الذي يعكس البنية الاجتماعية والقيم السائدة، فهي ليست مجرد تراكم لغوي، بل تمثل آلية لإعادة الإنتاج الثقافي للصور النمطية للجندر، غالبا ما تصور الأمثال المرأة بصورة سلبية، وتعكس الهيمنة الرمزية الذكورية في المجتمع، إذ تكرس التفاوت بين الجنسين وتفرض الرقابة على سلوك المرأة ضمن القيم التقليدية، فالنسق الذكوري يبقى الطاغي في الأمثال الشعبية الجزائرية، كما يظهر في مثل" **البنت لا تعلمها حروف ولا تسكنها غروف**"، الذي يدعو إلى منع الفتاة من التعلم وفرض السيطرة المطلقة عليها، تحسبا من أن تستقل أو تنافس الرجل في المعرفة والقدرة، فالتعليم في المخيال الشعبي يعد خطرا على الفتاة لأنه يقوي شخصيتها ويمنحها حرية قد تهدد الهيمنة الذكورية، وهو ما يؤكده المثل الآخ **"البنت إما دار راجلها ولا قبرها"**، الذي يعكس الرغبة في التملك والسيطرة، بحيث تكون الفتاة قبل الزواج تحت إمرة الأب وبعده تحت سلطة الزوج، مما يحد من استقلالها ويعزز صورة المرأة ككائن تابع للسلطة الذكورية.

4-1- 3- المرأة ونزع الأهلية العقلية:

كما تظهر الهيمنة الذكورية في مثل" **البنت والخادم رايهم عادم**"، الذي ينفي قدرة المرأة على اتخاذ قرارات عقلانية، بينما يعمق مثل **"كيد النسا ما يتنسى"** صورة المرأة على أنها ماكرة بطبعها، مما يعكس تحيزا جنسيا يبالغ في تصوير سلوكها بنوع من الشر الفطري، كما أن مثل **"زوج أحناش في غارولا زوج بنات في الدار** "يعطي الأفضلية للرجل في السلطة والحضور، ويقلل من قيمة الأسرة المكونة من البنات، وهو ما يظهر تفضيلا للهيمنة الذكورية على الحياة المنزلية والاجتماعية، أما مثل **"إذا حلفو فيك الرجال بات راقد وإذا حلفو فيك النسا بات قاعد** "فيؤكد ثقافة عدم الثقة في أقوال النساء، مع إعطاء أقوال الرجال قيمة أكبر، وهو ما يعكس آليات اجتماعية ولغوية لإعادة إنتاج السلطة الذكورية"، لتكرس جميعها صورة المرأة ككائن مكلف بالخطر والكيد، يحتاج المجتمع إلى الحذر منه، ومن منظور النقد الثقافي، تعمل هذه الأمثال كخطاب اجتماعي يحمل

أيديولوجيا الذكورة، ويعيد إنتاج الصور النمطية ويكبت حرية المرأة واستقلالها، ليظل الوعي الجمعي مهيمنا بالتصورات الذكورية حول مكانة المرأة ودورها في المجتمع الجزائري.

4-1- 4- القرآن الكريم وتفكيك النسق الثقافي الجاهلي:

يكشف المثل الشعبي "**لبنت تجيب العار والعدو لباب الدار**" عن حضور قوي للنسق الجاهلي في الوعي الجمعي، حيث تختزل الأنثى في صورة العار والتهديد، إن هذا الخطاب الشعبي لا يعبر عن "حكمة" بقدر ما يكشف عن سلطة ثقافية ذكورية تسعى إلى ضبط موقع المرأة في المجتمع عبر إنتاج صور نمطية سلبية، وهنا يأتي النص القرآني باعتباره خطابا مضادا يفكك هذا النسق، ويعيد بناء القيمة الرمزية للأنثى، إذ يقول الله تعالى:﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾(سورة النحل، الآية 59)، هنا لا تكتفي بوصف الواقع الجاهلي، بل تمارس نقدا ثقافيا حادا لذلك التصور، معتبرة إياه حكما جائرا وسلوكا منافيا للفطرة، أما المثل الشعبي القائل "**المرأة التي لا تنجب البنات مسنودة بخيط، أمام المرأة التي تنجب الذكر مسنودة بحيط**" فهو يعيد إنتاج ذات المنطق الإقصائي، حيث تقاس قيمة المرأة بقدرتها على إنجاب الذكور، إن النقد الثقافي يكشف هنا عن آلية إيديولوجية خطيرة، إذ يتم ربط قيمة المرأة بمعيار خارجي (الذكر) بدل الاعتراف بكيانها الإنساني المستقل، وفي هذا السياق يقدم الخطاب القرآني تصحيحا جذريا، لأنه يحرر المرأة من أسر التصورات الجاهلية، ويعيد إليها كرامتها كإنسان بغض النظر عن جنس المولود.

وهكذا يتضح أن الأمثال الشعبية ليست حيادية، بل هي حوامل ثقافية لإعادة إنتاج الهيمنة الذكورية، بينما يمثل القرآن خطابا تحرريا ينزع الشرعية عن تلك الممارسات، ويضع أساسا جديدا لقيم المساواة والعدل.

4- 2- المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية بين معايير الجمال والأدوار الأسرية والاجتماعية:

تكشف الأمثال الشعبية الجزائرية عن صورة مركبة للمرأة، تتجاوز الوصف المباشر إلى التعبير عن الأنساق الثقافية التي توجه تمثيلها داخل المخيال الشعبي. فهذه الأمثال لا تكتفي بتحديد معايير تقييم المرأة، بل تسهم في تكريس أدوارها الاجتماعية وإعادة إنتاج الصور النمطية المرتبطة بها، من خلال ربط قيمتها بالجمال والأخلاق، وتهميشها داخل البنية الاجتماعية وتصويرها طرفا في الصراع الأسري، وجعلها موضوعا للنقد والسخرية الشعبية.

4- 2-1- صورة المرأة بين الجمال الظاهري والقيم الأخلاقية:

أما فيما يخص نسق الجمال والأخلاق، فتؤكد الأمثال الشعبية الجزائرية على أن الجمال الظاهر وحده لا يكفي دون الأخلاق الحميدة والأفعال الصالحة، وهو ما يظهر بوضوح في أمثال مثل" **لا يغرك نوار الدفلة في الواد داير الضلايل ولا يغرك زين الطفلة حتى نتشوف لفعايل**"، و"**الزين بلا فعال يخزي مولاتو**"، **و"الزين ما يعمر دار**"، حيث يفهم من هذه الأمثال أن القيم الجمالية مرتبطة بالقدرة على تحمل المسؤولية وإدارة الحياة الأسرية، وليس بالمظهر الخارجي فقط، هذه الأمثال تكشف عن نسق ثقافي يربط الجمال الأخلاقي بالاستحقاق الاجتماعي للمرأة، وتعيد إنتاج فكرة أن قيمة المرأة محكومة بمقدار التزامها بالأدوار التقليدية.

4- 2-2- المرأة بين اللوم والانتقاص :

تكشف بعض الأمثال الشعبية الجزائرية عن حضور نسق ثقافي يسهم في ترسيخ صورة نمطية للمرأة داخل الأسرة والمجتمع، إذ لا تقدم بوصفها ذاتا مستقلة، وإنما من خلال تصورات تقلل من مكانتها أو تحملها مسؤولية ما ينشأ داخل الأسرة من توتر وإخفاق، ويتجلى ذلك في المثل القائل:"**اللي عينو في العذاب، ايكثر النساء ولكلاب**"، الذي يربط كثرة النساء بالمشقة والعناء، فيكرس رؤية ثقافية تجعل المرأة مصدرا للمتاعب، وتسهم في إضفاء المشروعية على الأحكام السلبية الموجهة إليها.

كما يوظف المثل الشعبي"**صام عام فطر على جرانة**" للتعبير عن خيبة الأمل بعد طول انتظار، ويستعمل في كثير من السياقات الشعبية للدلالة على سوء الاختيار أو عدم تحقق المأمول، ولا سيما في سياق الزواج، ومن منظور النقد الثقافي لا يقتصر هذا المثل على وصف حالة من الإحباط، بل يسهم في ترسيخ خطاب ينتقص من المرأة عندما لا تتوافق مع الصورة المثالية التي يرسمها المجتمع لها، فتغدو موضوعا للتقليل من القيمة والسخرية، بما يعكس هيمنة نسق ثقافي

يقيس مكانتها بمدى توافقها مع المعايير الذكورية السائدة، ويعيد إنتاج صور نمطية تحصر قيمتها في إرضاء توقعات الآخرين.

4- 2-3- المرأة والصراع الأسري:

وتبرز الأمثال الشعبية الجزائرية العلاقة المعقدة بين الزوجة والكنة، كما في المثل القائل "**إذا تصالحت لعجوزوالكنة يدخل إبليس للجنة"**، مما يعكس الصراعات المتأصلة في النسق الأسري التقليدي، حيث ينظر إلى المرأة على أنها مصدر محتمل للخلاف والمشاكل، كما تبرز الأمثال الصراعات الأسرية والزوجية، مثل **"زوج حناش في غار ولا زوج ضرا ير في دار"**، **و"الضرة مرة"**، التي تصور المرأة كعنصر للصراع والخلاف، وتعيد إنتاج صورة المرأة كمصدر للمشكلات الاجتماعية، وتعكس الهيمنة الرمزية للذكور الذين يحددون أطر التنافس والتحكم داخل الأسرة، ما يؤكد تحديد الدور الاجتماعي للمرأة وفق المعايير الذكورية التقليدية.

4- 2-4- صورة المرأة بين النقد و السخرية الشعبية:

تعكس بعض الأمثال الطابع الرمزي للتقاليد والممارسات الاجتماعية، كما في**"واش يخرج لعروسة من دار بوها"**، الذي يستخدم لتصوير البطء أو التأخر، مستندا إلى الأعراف المتبعة في حفلات الزواج، ويظهر الدور التقليدي المتوقع للمرأة في المناسبات الاجتماعية، وهناك أمثال أخرى مثل "**راجلها في لحباس وهي تشطح فلعراس**" تنتقد المرأة على أساس تصرفاتها الشخصية أو إخفاقها في دعم زوجها .

من منظور النقد الثقافي، تعمل هذه الأمثال على إعادة إنتاج الصور النمطية للمرأة، وتكريس الهيمنة الذكورية، وتقييد استقلاليتها وحريتها، كما تكشف عن آليات التملك والتحكم الاجتماعي والرمزي التي يمارسها الذكور في الأسرة والمجتمع، وتبرز كيف يبقى الوعي الجمعي مهيمنا بالتصورات الذكورية حول مكانة المرأة ودورها في الحياة الأسرية والاجتماعية.

4- 3- تمجيد المرأة في الأمثال الشعبية الجز ائرية وازدواجية الخطاب الثقافي:

لا تقتصر صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية على التمثلات السلبية، بل تتجلى أيضا في صور تبدو إيجابية تمجد فضائلها وأدوارها داخل الأسرة والمجتمع، غير أن القراءة الثقافية تكشف أن هذا التمجيد غالبا ما يظل خاضعا للنسق الذكوري، إذ يقترن بقيمة المرأة في حدود

الأدوار التقليدية المنوطة بها، كما يتسم الخطاب الشعبي بازدواجية تجمع بين الإشادة بها والانتقاص من شأنها.

4-3-1- المرأة بين التمجيد الرمزي وتكريس الأدوار التقليدية:

وعلى الرغم من أن بعض الأمثال الشعبية الجزائرية تمجد المرأة وتبرز فضائلها، إلا أن هذه المضامين الإيجابية غالبا ما تقرأ في ظل نسق ثقافي سلبي يتسم بالتناقض والهيمنة الذكورية، حيث يقدم دور المرأة وكأن قيمتها مرتبطة دائما بخدمة الآخرين وتحمل المسؤوليات المادية والمعنوية على حساب نفسها فمثلا، المثل القائل"**إللي أمو حية يتوسد الركبة واللي أمو ميتة يتوسد العتبة** " يمجد الأمومة ويظهرها كمصدر للدفء والأمان، لكنه في الوقت ذاته يعكس الاعتماد الكامل للذكور على المرأة وغياب أي قيمة مستقلة لها خارج دورها كأم، كما يضع المرأة في موقع التضحية المطلقة على نحو يظهر فقدانها لأي خيار شخصي، بينما يتمتع الأب بحرية الاختيار بعد فقدان الأم وبالمثل، المثل "**ريحة يما ترويني ولو بالسم تسقيني** "يبرز الحنان الأمومي، لكنه يكرس فكرة أن المرأة موجودة لتلبية احتياجات الآخرين مهما كان ثمن ذلك على راحتها وسعادتها، في إطار هيمنة رمزية للذكور والأبناء على الجسد والوظيفة الأنثوية.

وكذلك نجد المثل الشعبي القائل "**أقلب الجرة على فمها تطلع البنت لأمها** "ليس مجرد تعبير عن التشابه بين الأم والابنة، بل هو مرآة ثقافية تعكس مكانة المرأة ودورها المحوري في الحياة الأسرية والاجتماعية، فالمرأة من خلال دورها كأم، تشكل نموذجا للسلوك والأخلاق، فتكون الابنة مرآة لها، تتعلم منها الفضائل، القيم، والمهارات العملية، وهذا يوضح أهمية المرأة كمربية وناقلة للثقافة والمعايير الاجتماعية.

4-3-2- المرأة بين التقدير المشروط وتكريس الأدوار الجندرية:

كما تعكس الأمثال الشعبية الجزائرية مثل "**خطب لبنتك وما تخطبش لبنك** "و"**اللي ما عندوش لبنات ما عرفوه الناس باه مات**" تصور المجتمع للمرأة ضمن نسق جندري تقليدي، حيث ينظر إليها كمصدر اهتمام مستمر للرجال ومرتبطة بالزواج وخدمة الأسرة وإدارة شؤون المنزل، بينما يعفى الذكر من أي ضغوط مماثلة، ما يوضح التمييز بين الأدوار الجندرية ويضع المرأة في موقع دائم من التبعية، وأمثال أخرى مثل "**مرا وعليها لكلام** "و"**القدرة بلا بصل كما لمرا**

بلا عقل" تمجد نشاط المرأة وعقلها، لكنها تربط هذه الفضائل بخدمة الزوج والأسرة، أي أن قيمتها لا تقاس بذاتها، بل بما تقدمه للآخرين، ما يجعل هذه الأمثال أداة لإعادة إنتاج الهيمنة الاجتماعية والرمزية للذكور ضمن النسق التقليدي، حتى الأمثال التي تحتفل بحضور المرأة والبركة، مثل **"جات وجابت الخير معاها"**، تظهر أن حضورها مرغوب فيه فقط إذا كان مصحوبا بالخيرات المادية أو الرمزية، أي أن قيمتها مرتبطة بما تقدمه، وليس بما هي عليه بذاتها، لقد كشف هذه الأمثال عن تمجيد ظاهري للمرأة، إلا أن هذا التمجيد يظل خاضعا لنسق ثقافي ذكوري يحصر قيمتها في أداء وظائفها التقليدية، كالزواج والأمومة ورعاية الأسرة وخدمة الزوج وعليه لا يمنحها الخطاب الشعبي اعترافا مستقلا بذاتها، بل يربط مكانتها الاجتماعية بمدى امتثالها للأدوار الجندرية التي يفرضها النسق الثقافي ويعمل على إعادة إنتاجها عبر الموروث الشعبي.

4-3-3- المرأة بين المدح والذم:

تكشف بعض الأمثال الشعبية الجزائرية عن خطاب ثقافي متناقض في تمثيل المرأة، حيث تجمع بين الإشادة بها والانتقاص من شأنها، فتتداخل في صورتها دلالات الخير والشر، والنجاح والفشل، في انعكاس واضح لازدواجية النسق الثقافي الذي يحكم بناء صورتها في المخيال الشعبي، وعند قراءة بعض الأمثال في سياق الصورة الداكنة للمجتمع، يتضح أن النساء موضوع للتناقض المستمر، كما نجد المثل الواحد نجد أن المرأة تمثل الخير والشر، النجاح والفشل، الرغبة والرعب، كما في**"الريح من لمرا والزلط من لمرا "**و**"الخير مرا والشر مرا"** و**"مرا تعليك ومرا تعري"**، ما يعكس التضارب النفسي والثقافي الذي يفرضه المجتمع على هوية المرأة، ويضعها دائما بين حدود التقدير والتحقير. من منظور ثقافي، تكشف هذه الأمثال عن ازدواجية المجتمع التقليدي فهي تعترف بذكاء المرأة ونشاطها، لكنها تقيد هذه القدرات ضمن أدوار محددة، فتبرز قيمة المرأة وأهميتها في الاستقرار الأسري والاجتماعي، وفي الوقت نفسه تحد من استقلاليتها، مع إبراز الهيمنة الجندرية التقليدية التي تعيد إنتاج الفجوة بين الجنسين في القوة والاعتراف الاجتماعي.

تبين هذه الأمثال أن حتى المضامين الإيجابية المتعلقة بالمرأة لا تفلت من نسق الهيمنة الذكورية والرقابة الاجتماعية فهي تمجدها، لكنها في الوقت نفسه تعيد إنتاج القيود المفروضة عليها، وتربط قيمتها بالأدوار التقليدية، وتضعها تحت المراقبة المستمرة داخل الأسرة والمجتمع وبالتالي، تظهر الأمثال الشعبية الجزائرية تناقض الخطاب الثقافي تجاه المرأة، إذ تقدمها كمصدر للحب والعطاء والأمان، وفي الوقت ذاته كمصدر للالتزام والخضوع والتضحية، ما يجعلها محكومة دائما بالتصورات السائدة التي تقيد استقلالها وتفرض عليها أدوارا جندرية محددة.

5- خاتمة:

في الختام تظهر دراسة الأمثال الشعبية الجزائرية المتعلقة بالمرأة مدى التناقض العميق في الخطاب الثقافي الشعبي، حيث تتقاطع الصور السلبية مع الإيجابية في نسق متشابك يعكس الأيديولوجيا الذكورية والهيمنة الرمزية للذكور، ويكرس القيود المفروضة على المرأة في الأسرة والمجتمع، فبينما تمجد بعض الأمثال الأمومة، النشاط، والفضائل الأخلاقية للمرأة، إلا أن هذه المظاهر الإيجابية غالبا ما تقرأ في سياق إعادة إنتاج التبعية والتضحية والقيود الجندرية التقليدية، ما يجعل قيمة المرأة مرتبطة دائمًا بخدمة الآخرين ورضا الرجل ومن هذا المنظور، تصبح الأمثال الشعبية مرآة تعكس الصورة المركبة والمتناقضة للمرأة، فهي مصدر للحب والعطاء والخير، وفي الوقت نفسه موضوع للرقابة والتحكم والخضوع وعليه، يمكن اعتبار تحليل هذه الأمثال من منظور النقد الثقافي أداة فعالة لفهم آليات السيطرة الثقافية وإعادة إنتاج البنى الجندرية التقليدية في المجتمع الجزائري، كما يبرز الدور الرمزي للخطاب الشعبي في تكريس القيم والتصورات السائدة تجاه المرأة، سواء بسلوكها أو مكانتها أو هويتها الاجتماعية.

وفي ختام هذه الدراسة يمكن استخلاص أهم النتائج المتوصل إليها من خلال استجلاء صورة المرأة في الأمثال الشعبية الجزائرية، كما يلي:

- تبقى الأمثال الشعبية معينا لا ينضب وواجهة من أهم واجهات الثقافة الشعبية، إذ رسمت ولا تزال ترسم ملامح المجتمع الجزائري، وتجمع أفراده وتحدد قيمه وأهدافه.

- وظفت الأمثال تقنيات دلالية وبنيوية وصوتية منتقاة تؤثر في المتلقي وتحرّك ذوقه، مما يدفعه إلى ترديد هذه الأمثال والإقبال عليها لما تحمله من معنى ومبنى محكم.

- يعتبر المثل الشعبي قولا معروفا قصير العبارة يحتوي فكرة صحيحة تلخص قواعد السلوك البشري، وهو نتاج جماعي يعكس وعي المجتمع في ظرف محدد ويتداول في مختلف المناسبات.

- نقلت الأمثال الشعبية صورا متنوعة عن المرأة في أدوارها الاجتماعية والأسرية :الأم، الأخت، البنت، الزوجة، الحماة، الضرة، ما يعكس التنوع والتعدد في تمثيل المرأة داخل الخطاب الشعبي.

- تضمنت الأمثال أنساقا ثقافية تبرز الصراع بين المركز والهامش، بين الذكورة والأنوثة، وتعيد إنتاج الهيمنة الرمزية للذكور على حساب استقلالية المرأة وحريتها.

- على الرغم من وجود أمثال تمجد المرأة، إلا أن بعض الأمثال تعكس صورا سلبية تجاهها، خاصة في ما يتنافى مع القيم الدينية، مثل قضية إنجاب البنات أو الدور المحدود للمرأة في المجتمع، وهو ما يعكس التناقض الثقافي والتوتر بين القيم التقليدية والدين.

- لوحظ أن الأم كانت دائما محط **تقدير** وإشادة في الموروث الشعبي، وهو امتداد لقيم الدين الإسلامي الذي أعطى مكانة عالية للوالدين، ما يبرز الامتداد الديني في الثقافة الشعبية وتأثيره على تمثيل المرأة.

- تكشف دراسة الأمثال الشعبية الجزائرية أن المرأة موضوع مزدوج في الثقافة الشعبية؛ فهي محبوبة ومقدرة في أدوارها الأمومية والأخلاقية، وفي الوقت نفسه مقيدة ضمن النسق التقليدي الذي يحد من استقلالها ويعيد إنتاج الهيمنة الذكورية، ما يجعل هذه الأمثال مرآة حية لفهم الصراعات الجندرية والأيديولوجيا السائدة في المجتمع الجزائري.

6- قائمة المصادر والمراجع:

1- جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي محمد وأبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان،(د، ط)، (د، ت) .

2- جمانة طه: موسوعة الأمثال الشعبية العربية، الدار الوطنية، السعودية، (د، ط)، 1999م .

3- عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،(د،ط)،1981م .

4- أبو علي محمد توفيق، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1998 م .

5- فاطمة المرنيسي، شهرزاد ترحل إلى المغرب، المركز الثقافي العربي، نشر "الفنك" الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2003م .

6- أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحيان، بيروت، لبنان، ط2، (د، ت) .

7- الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، (د، ط)، 1987م .

8- محمد عبد الوهاب، موسوعة الأمثال القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1993م .
9- محمود السيد حسن، التعبير اللغوي في أمثال القرآن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، (د،ط)، 2001 .
10- ابن منظور، لسان العرب، مادة (م، ث، ل)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت) .
11- نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة- مصر، ط3، (د، ت).
12- أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1988 م.

7- الإحالات والهوامش:

1. أبو علي محمد توفيق: الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1998 م ، ص32.
2. ابن منظور، لسان العرب، مادة (م، ث، ل)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت)، ج 11 ، ص ص 610- 616.
3. المرجع نفسه ، ص 613 .
4. أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، 1988 م، ج1، ص7.
5. محمود السيد حسن، التعبير اللغوي في أمثال القرآن، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، (د،ط) ، 2001، ص 20 .
6. الفيومي، المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان،(د، ط)، 1987م، ص 215 .
7. جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته وعلق حواشيه محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان،(د، ط)، (د، ت)، ج1، 486 .
8. جمانة طه: موسوعة الأمثال الشعبية العربية، الدار الوطنية، السعودية، (د، ط)، 1999م، ص60.
9. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ،(د،ط)،1981م،ص12.
10. فاطمة المرنيسي: شهرزاد ترحل إلى المغرب ، المركز الثقافي العربي – نشر "الفنك" الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان، 2003، ص 17 وما بعدها.

11. أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، منشورات دار مكتبة الحيان، بيروت، لبنان، ط2، (د، ت)، ج1، ص20.
12. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، مصر، ط3، (د، ت). ، ص140.
13. محمد عبد الوهاب، موسوعة الأمثال القرآنية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، (د، ط)، 1993م، ج01، ص 54.

-